

**هجرة الكفاءات العلمية وأثرها في التنمية البشرية  
(العراق حالة دراسية)**

**يونس سلام جعفر**

**م.د تأميم محمد سلوم**

**جامعة بغداد كلية الادارة والاقتصاد / قسم الاقتصاد**

**E:uonis196115@gmail.com**

**E:taameem.m@coadec.uobaghdad.edu.iq**

تمثل الكفاءات العلمية احد اهم الدعامات الرئيسية في عملية التنمية الشاملة في اي بلد وبالخصوص عملية التنمية البشرية لمساهمة هذه الشريحة العلمية بالجزء الاكبر لبناء القاعدة الاقتصادية للنهوض التنموي. ولعل الواقع العراقي المتمثل بالاضطراب السياسي والامني والاقتصادي تسبب في عبور هذه الكفاءات الى خارج الحدود، مما خلف أثراً سلبياً على الاقتصاد الوطني. وهذا الاثر السلبي جعل من ظاهرة هجرة الكفاءات العراقية مشكلة تفاقمت واستمرت في ظل الواقع الحالي، المتمثل بالتحديات الاقتصادية والسياسية السائدة، فضلاً عن اخفاق الحكومات المتعاقبة في العراق في وضع خطة استراتيجية لاعادة الكفاءات المهاجرة أو استيعاب الكفاءات العلمية الناشئة في الداخل. لذا فان هدف البحث هو معرفة مدى تأثير هجرة الكفاءات في بعض من مؤشرات التنمية البشرية في العراق من خلال تحليل البيانات المتاحة التي تمثل قراءة لواقع هجرة الكفاءات العراقية الى الخارج خلال مدة الدراسة، وباستخدام المنهج الوصفي لهذه البيانات كأدوات وصفية للوصول الى النتائج. وتم التوصل الى تحقق فرضية البحث وهي التأثير السلبي على مؤشرات التنمية البشرية في قطاعي التعليم والصحة، ومن هذه النتيجة تأتي اهمية البحث في تبيان العلاقة بين هجرة الكفاءات العلمية والتنمية البشرية.

**كلمات مفتاحية:** الهجرة، الكفاءات العلمية، التنمية البشرية.

### Abstract:

Scientific competencies represent one of the most important main pillars in the comprehensive development process in any country, especially the human development process, because this scientific segment contributes the largest part to building the economic base for developmental advancement. Perhaps the Iraqi reality represented by the political, security and economic turmoil caused the crossing of these competencies outside the borders, which left a negative impact on the national economy. This negative impact has made the phenomenon of Iraqi talent migration a problem that has exacerbated and continued in light of the current reality, represented by the prevailing economic and political challenges, as well as the failure of successive governments in Iraq to develop a strategic plan to return immigrant talent or to absorb emerging scientific talent at home. Therefore, the aim of the research is to find out the extent of the impact of brain drain on some of the human development indicators in Iraq by analyzing the available data that represents a reading of the reality of Iraqi brain drain abroad during the study period, and by using the descriptive approach of these data as descriptive tools to reach the results. The research hypothesis was achieved, which is the negative impact on human development indicators in the education and health sectors, and from this result comes the importance of research in showing the relationship between the migration of scientific competencies and human development.

### المقدمة:

الهجرة سلوك نشأ مع وجود الانسان ليتطور الى ظاهرة في مسار المجتمعات البشرية على طول التاريخ. وهي ذات طابع دولي تتغير انماطها وأسبابها وآثارها وفق السياق الزماني والمكاني، وتزداد حجماً وتعقيداً مع مرور الزمن. ومن بين المهاجرين من يتسم بالموهبة والمهارة العالية التي تمثل اليوم اسس اهم الانشطة الانسانية في البناء التنموي المعاصر كما دلت تجارب معظم الدول كونها موارد حيوية، وطالما لا تتمكن مواطن تلك الفئة من استيعابها بحجمها أو تخصصها، فليس امام هذه الفئة سوى الهجرة. فكان انتقالها من مواطن تكوينها الاصلية التي هي غالباً الدول النامية او الاكثر فقراً الى اماكن غنية ومتقدمة لتحصيل الرفاهية الفردية، حصول فجوة تنموية تمثلت بترسيخ حرمان الدول الفقيرة من التنمية مقابل قيمة مضافة للدول الغنية، مما أثار الاهتمام المتزايد بهذه الظاهرة لاسيما في اماكن نشوئها، نظراً لتزايد عدد المهاجرين من الكفاءات المتخصصة، واصبحت مشكلة لايمكن تجاوزها من قبل الأطراف الرسمية أو الأكاديمية البحثية بوصفها قضية مركزية مؤثرة في مختلف جوانب البيئات الداخلية للدول وعلى مسرح العلاقات الدولية. وعلى مدى عقود ماضية أصبحت دراسات

هجرة الكفاءات، محل اهتمام وخضعت لجدل سياسي واقتصادي مكثف، وعنواناً حاضراً في جدول أعمال طاولة الحوارات العالمية التي تديرها المنظمات الدولية. والدول العربية كدول نامية تعتبر من الدول المنتجة للكثير من العلماء، وقد عانت ولانتزال من ظاهرة هجرة كفاءاتها العلمية وربما الفت بأثارها على الاقتصاد العربي ومنها الاقتصاد الوطني خاصة على مسار التنمية البشرية في العراق، تلك الهجرة التي كانت قائمة منذ اواسط القرن العشرين، ثم ازداد حجمها بعد الاحتلال الامريكي.

### المبحث الاول: الاطار العام للبحث

١. مشكلة البحث : ان هجرة الكفاءات العلمية ظاهرة دولية تعاني منها اكثر الدول سواء منها المتقدمة او النامية، وغالبا ما تكون تأثيراتها على اقتصاديات دول المنشأ سلبية او ايجابية. وفي ظل الواقع الحالي في العراق تسبب تفاقم هجرة الكفاءات العلمية واستمرارها، بتأثيرها في بعض من مؤشرات التنمية البشرية.

٢. فرضية البحث : تُؤثر هجرة الكفاءات العلمية تأثيراً سلبياً أو ايجابياً في بعض من مؤشرات التنمية البشرية في العراق.

٣. أهمية البحث: تتجلى أهمية البحث في اطار أهمية ومكانة الكفاءات العلمية لذاتها، كونها تمثل الحداثة في مسار التوجه التنموي الحقيقي في العراق.

٤. هدف البحث : معرفة واقع هجرة الكفاءات العلمية في العراق، ومعرفة مدى اثارها في بعض من مؤشرات التنمية البشرية في العراق.

٥. مناهج البحث : استناداً إلى البيانات والإحصاءات الرسمية والدولية المتاحة حول هجرة الكفاءات، تم اعتماد المنهج الوصفي.

٦. حدود البحث :

١- الحدود المكانية: العراق

٢- الحدود الزمانية: بعد عام ٢٠٠٣

٧. متغيرات البحث :

١- المتغير المستقل: هجرة الكفاءات العلمية.

٢- المتغير التابع: التنمية البشرية (مؤشر التعليم ومؤشر الصحة).

### المبحث الثاني: هجرة الكفاءات العلمية

١. مفهوم هجرة الكفاءات العلمية ونشأتها:

في اللغة العربية: هجرة (مفرد) هي مصدر للفعل هاجرَ، وتعني الخروج من ارض الى ارض اخرى سعياً وراء الامن او الرزق (عمر، ٢٠٠٨): (٢٣٢٦). والهجرة من المفاهيم القرآنية، قال الله تعالى {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} (سورة النحل، الآية: ٤١). في اللغة الانجليزية في قاموس Webster's ويبستر؛ الهجرة تعني "فعل او عملية الترحيل أو حالة من الانتقال من مكان إلى آخر في اغلب الأحيان" (merriam-webster). كما عرفتها المنظمة الدولية للهجرة: "من منظور بلد المغادرة، فعل الانتقال من بلد الجنسية أو الإقامة المعتادة إلى بلد آخر، بحيث يكون بلد المقصد على نحو فعال بلده الجديد ويصبح محل إقامته المعتاد" (IOM, N34, 2019: 64). ويمكن القول ان مفهوم الهجرة هو سلوك طبيعي ثابت لازم البشرية منذ نشوئها، نمطه الحركة المستمرة والانتشار حسب الظروف الآنية لأمكنة النشوء والاستقرار، ولأسباب تتعلق بازمة المهاجر او عوامل الدفع وال جذب للهجرة. وباعتبار ان الهجرة مستمرة فقد تعدلت دراستها المعاصرة لتقرأ بمنظور مختلف عما سبق للمساعدة في استيعاب الاطر الديموغرافية - الاقتصادية والظروف السياسية الجارية في مختلف ارجاء العالم، فضلا عن ان الهجرة المعاصرة يغذيها كم هائل من اصحاب الشهادات العلمية والقدرات المهنية الذين يوظفون امكاناتهم في اماكن اخرى من العالم (كورتى، ٢٠١١: ٩-١٣). وهذا النمط من الهجرة هو هجرة الكفاءات العلمية الذي تناولته البحوث والدراسات المعنية بتسميات متعددة منها؛ هجرة العقول، تبادل العقول، استنزاف العقول، هجرة الادمغة، استنزاف الكفاءات، النقل المعاكس للتكنولوجيا وغيرها، وكل هذا الترادف الاصطلاحي يشترك في مضمون واحد، هو فقدان رأس المال البشري. ان مصطلح (brain drain) هجرة الأدمغة صيغ في عام ١٩٦٣ من قبل الجمعية الملكية البريطانية وهو وصف لتدفق العلماء والتكنولوجيين من المملكة المتحدة إلى كندا والولايات المتحدة خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين (Dessilani, 2016: 4). وتعتبر منظمة اليونسكو، هجرة العقول؛ نوع سلبى من أنواع التبادل العلمي بين الدول، أو مايعرف بالنقل العكسي للتكنولوجيا، يتسم بالتدفق في اتجاه واحد الى الدول المتقدمة، لأن في هجرة العقول نقل مباشر لأحد أهم عناصر الإنتاج، وهو العنصر البشري (مجلة البرلمان العربي، ٢٠٠١: ١٢٣). ويمكن القول ان هجرة الكفاءات

العلمية تعني هجرة الافراد الذين يتصفون بالملائة العلمية العالية من اوطانهم الى بلد آخر لاسباب مختلفة. اما نشأت هجرة الكفاءات العلمية فلها جذور تاريخية، فكانت هجرة الفلاسفة اليونانيين من بلدانهم الى اثينا ما بين عامي ٦٠٠ ق.م و ٣٠٠ ق.م من اهم الهجرات والتي رافقتها حركة ثقافية كبيرة اسفرت عن نمو الحضارة اليونانية وازدهار اثينا ورفي علومها (سرحان، ٢٠١٤: ٧). وكذلك هجرة بعض علماء وكفاءات الحضارات القديمة من بلاد النهرين ووادي النيل حينما اشتدت عليهم الظروف الداخلية وبعد أن تعرفوا على أمكنة أكثر تقديرا واحتراما وسعة صدر لعلميتهم وجهودهم الخلاقة (كرم، ١٩٨٢: ٩٨). كما ان انتقال التلاميذ الأوروبيين إلى الجامعات الإسلامية في قرطبة وغرناطة واشبيلية حينما كانت اسبانيا تحت ظل الاسلام حيث الانتاج الفكري والعمراني فيها وعودة هؤلاء التلاميذ الى بلادهم في أوروبا ساهم بشكل كبير في نقل الحضارة الاسلامية (شليبي، ١٩٩٥: ١٥٢). وقد حافظ المجتمع الاسلامي في القرون الخمسة الاولى للهجرة النبوية الشريفة على اصحاب العقول المبدعة والمتفوقة في ميادين الحياة واصحاب المهارات العالية، حيث كانوا احرارا في حركتهم وتقلاتهم في ارجاء العالم لطلب العلم (سرحان، ٢٠١٤: ٨). وخلال مدة الستينيات وبداية السبعينيات من القرن العشرين ارتفعت معدلات الهجرة من دول العالم الثالث لاسيما من العلماء والاطباء والمهندسين الى الدول الصناعية الكبرى مما ساعد على ارتفاع نسبي في معدلات النمو الاقتصادي خاصة في امريكا وبريطانيا واورشاليا وكندا، مع عدم كفاية انتاجها من المعنيين، مما دفع هذه الدول لانتقاء المهارات العالية من خريجي الدول النامية (سرحان، ٢٠١٤: ٣١). ومنذ السبعينيات تبنت السياسة الامريكية اختيار استقدام التقنيين والمهنيين لضمان دخول مهاجرين مؤهلين، وانتهجت دول اخرى هذه السياسة من الارجننتين الى استراليا ومن البرازيل الى جنوب افريقيا. وهذه السياسات شجعت على مايسمى بهجرة الادمغة من دول العالم الثالث نحو الدول المتقدمة اقتصاديا وتقنيا. وفي التسعينيات وبعد ازمة عام ١٩٩٧ شددت قوانين الدول الشرق آسيوية كاليابان وكوريا وتايوان ودول اخرى على الانتقائية في استقطاب المهاجرين، فانتمت الهجرة الى هذه الدول بالاولوية المكرسة للكوادر التقنية الذين وجدوا وظائف في المراكز المالية في المدن الشرقية الرئيسية في هذه الدول (كورتى، ٢٠١١: ١٩٣ - ١٩٨). وكانت الولايات المتحدة مغناطيس معدل الذكاء النهائي للمهاجرين من ذوي الكفاءات العالية. الا ان هذا الاتجاه تغير بشكل كبير في السنوات الأخيرة، حينما أنشأت دول اخرى جاذبة للهجرة مثل كندا وأستراليا والمملكة المتحدة، برامج هجرة انتقائية مصممة لجذب المهاجرين من الكفاءات العالية. وتحلل البروفسور شاحار\* هذا التنافس المتزايد بين الدول، بأنه سباق على المواهب (Shachar, 2006: 59). يمكن القول ان نشأة هجرة الكفاءات مرت بسلسلة زمنية قديمة وتطورت عبر مراحل تاريخية الى ان اتخذت نمط الانتقائية في عصر العولمة.

### ٢. تصنيف الكفاءات العلمية واهميتها:

يصنف أصحاب الكفاءات، بانهم الأشخاص ذوي المستوى العلمي العالي من أساتذة تعليم عالي وباحثين ومهندسين وأطباء وغيرهم، وهم حسب المعايير الدولية من صنف النخب، ومساهماتهم في إنتاج المعرفة تعتبر مساهمة ذات قيمة مضافة عالية. ويضم مفهوم الكفاءة ستة أصناف حسب الترتيب؛ المدرسون والباحثون، المهندسون والمعماريون، الأطباء والصيداللة، المختصون في مجال الإعلام، المحامون وآخرون. وهم يختارون مقاصدهم في العالم حسب الترتيب التالي؛ ١ أوروبا، ٢ أمريكا الشمالية، ٣ البلدان العربية، ٤ افريقيا، ٥ آسيا وخاصة اليابان، ٦ أستراليا (الشلوقي، ٢٠١٩: ١٣). ويمكن القول ان شخصية الكفاءة العلمية، تصنف على انها ذا انتاجية فكرية ابتكارية نوعية تساهم في مد التطور العلمي نحو الامام، على ان تتضح معالم ذلك التطور في التصنيع السلعي والخدمي، لخدمة التنمية في بلد الاصل او بلد الاقامة ومن ثم للعالم. أما أهمية الكفاءات العلمية فتأتي من كونها ثمرة من ثمرات تطور المجتمع، وسبباً من أسباب تقدمه، لأنها توفر قوة بشرية ذات مستوى عالٍ من الاعداد والتأهيل ولديها القدرة على تطوير وتحديث المجتمع، لذلك صار توافر هذه الكفاءات في كل المجتمعات أكثر أهمية بسبب تعقد الحياة الإنسانية المعاصرة والدور الذي تقوم به في خدمة التطور الوطني. وهذا ماتطلبه التنمية البشرية لغرض التعامل مع المتغيرات المحلية والعالمية ومتابعة البحث والتطوير (الفاخري، ٢٠٠٨: ١). كما تأتي أهمية الكفاءات العلمية من خلال حاجة المشاريع الاستراتيجية من الناحية الفنية الى تخصصات علمية نادرة كمشاريع انتاج الطاقة النووية او المراكز التخصصية للابحاث العلمية (الحمداني، ٢٠١٤: ١١٠). ويرى الباحث بشأن أهمية الكفاءات العلمية، بانها تكوين ذو مساحة واسعة من المعرفة والمهارة المعززة بالتجربة الميدانية، والقابلة للتجذر المستقبلي والاتساع المعرفي، الذي يؤثر بشكل ايجابي على الانتاجية العلمية التي تصنع ديمومة الرفاهية

\* Ayelet Shachar أيليت شاحار (١٩٦٦) أستاذة القانون والعلوم السياسية والشؤون العالمية بجامعة تورنتو، كلية الحقوق.

المجتمعية. وهذا يتطلب البحث عن بذور زرع الكفاءة لتكييفها فكرياً وتربوياً واجتماعياً لخلق بيئة مدفوعة بالتغيير الشامل لمجموعة كاملة من المفاهيم والقضايا والأساليب والتقنيات والاتجاهات المرتبطة بالمجال التنموي لخدمة المجتمع.

٣. العوامل المفسرة لهجرة الكفاءات العلمية: ان تفسير ظاهرة هجرة الكفاءات تتراوح بين مدرستين هما:

الاولى - المدرسة الفردية: وتعالج الظاهرة من منظور فردي، باعتبار ان الافراد الكفوئين يسعون لبناء ذواتهم فكرياً ومهنياً لضمان ظروف افضل توفر لهم حرية التفكير وقدرة الابداع، وهذه المدرسة تستمد اصولها الفكرية من التحليل الاقتصادي النيوكلاسيكي وبعض المعالجات الاجتماعية والنفسانية. وترى هذه المدرسة ان هناك عوامل مهمة تحفز الكفاءات للهجرة من بلدانها، وهي:

١- انخفاض مستوى الدخل وتدني المستوى المعيشي.

٢- الاحباط العلمي والمهني بسبب عدم توفر امكانات البحث من كتب ومجلات علمية ومباني بحثية واجهزة ومعدات واتصال علمي دولي.

٣- غياب حرية الفكر والرأي والاسلوب العلمي لادارة المجتمع.

الثانية- المدرسة الدولية: وتفسر الظاهرة من منظور دولي تمتد جذوره الى عمق نظام الاقتصاد السياسي وتسمى مدرسة الاقتصاد السياسي الذي سيطر على العالم في منتصف القرن العشرين، ويكمن تفسير الظاهرة في الخصائص الجوهرية للنظام الاقتصادي العالمي، وهو الارتباط العضوي لبلدان العالم الثالث مع النظام الراسمالي العالمي بعلاقة تخلف وتبعية ذات ابعاد اقتصادية وسياسية وثقافية (فرجاني، ١٩٨٥: ٨٤-٨٦). ويمكن القول ان هذه القوانين والافتراضات تحاكي واقع الحال في حينه، ولربما تنطبق بشكل جزئي في الوقت المعاصر، بسبب اختلاف ظروفها وكذلك بسبب التطور الحاصل في الفكر الانساني على مستوى الفرد او المجتمع عبر الزمن، ومع هذا تبقى هذه النظريات والافتراضات اصولاً لاجبات مستمرة ومطورة في المستقبل. وقد اختلف الباحثين والمعنيين في تشخيص اسباب هجرة الكفاءات، وطالما ان هجرة الكفاءات العلمية اهم جزء في الهجرة البشرية الدولية بشكلها العام، لذلك فان اغلب العوامل المسببة للهجرة العامة لربما تطابق اسباب هجرة الكفاءات العلمية. ولعل ابرز من اقترح عوامل الهجرة هو عالم الاجتماع (Everett lee) إيفريت لي، وهو أستاذ بجامعة جورجيا في نظريته (الدفع وال جذب) الشاملة للهجرة في عام ١٩٦٦، والتي تستند الى مبادئ علم الاجتماع. وكانت مبنية على قوانين الهجرة لـ (Arnist Raffinistine) ارنست رافنستين المتخصص بالدراسات السكانية عام ١٨٨٥، وهي نظرية بسيطة، اذ يفترض لي اربعة فئات للعوامل المرتبطة بقرار وعملية الهجرة وهي:

(١) العوامل المرتبطة بمنطقة المنشأ؛ تسمى عوامل الدفع في منطقة الأصل وتعمل كحافز للهجرة مثل نقص الفرص الاقتصادية والتعليم، ومستوى المعيشة، وسوء الرعاية الصحية، والنمو السكاني غير الطبيعي، والتصحر، والاضطهاد السياسي او العرقي او المعتقد، والكوارث الطبيعية وغيرها.

(٢) العوامل المرتبطة بمنطقة المقصد؛ تسمى عوامل الجذب في الوجهة، مثل توافر فرص وظروف المعيشة وانظمة صحية وتعليمية أفضل، والحرية الدينية أو السياسية، وبيئة آمنة وجذابة، وقد تقترن عوامل الدفع والجذب في احداث الهجرة، إذا كان الدفع له حل في الجذب حسب الوجهة (هجرة اليد العاملة غالباً ما تتميز بعدم وجود فرص عمل في مناطق الدفع وتوجد في مناطق الجذب).

(٣) عوائق التداخل؛ وتشمل المسافة والمواصلات، وصعوبة الوصول بسبب التضاريس والحواجز المادية، وقوانين الهجرة المقيدة، وحاليا قللت التطورات التكنولوجية من أهمية هذه العوائق.

(٤) العوامل الشخصية؛ وتعتبر ذات أهمية قصوى، فاختلافات العوامل المرتبطة بمنطقة المنشأ وتلك المرتبطة بمنطقة المقصد، يؤثر على القرار الفعلي للهجرة. فالمهاجر لديه غالباً معرفة أفضل وأكثر واقعية عن المكان الذي يعيش فيه (المنشأ)، في حين أن معرفته بمكان المقصد تكون سطحية وغير دقيقة إلى حد ما، وعليه فان الجهل بمنطقة المقصد سيُشعر المهاجر بعدم الثقة او المخاوف بشأنها، وواقعاً لا يمكن إدراك بعض مزايا وعيوب منطقة ما إلا من خلال العيش فيها (Kar, 2012: p1).

٤. واقع هجرة الكفاءات العلمية العراقية: شهد الواقع العراقي عدة موجات للهجرة بسبب العوامل المتشابكة الطاردة، فكان هناك تعسف وانانية سياسية واعتقال رأي وتهجير قسري وحروب طاحنة للنفس والمال وحصار اقتصادي وثقافي دولي ثم احتلال امريكي، وضمت هذه

الموجات من الهجرة العديد من الكفاءات العلمية. والجدول (١) التالي يوضح ذلك: الجدول (١) اعداد ووجهة المهاجرين العراقيين

السنة	عدد المهاجرين	نسبة الكفاءات و صنفها	دول المقصد
-------	---------------	-----------------------	------------

الولايات المتحدة , كندا	١٠٠٪	١٥٠٠	-١٩٦٥ ١٩٦٩
الولايات المتحدة	٤٣٢ مهندس ١٥٠ عالم طبيعة ٣٣ عالم اجتماع	٦١٥	-١٩٦٦ ١٩٧٧
عربية واجنبية	٦٧٪ أساتذة جامعيين ٢٣٪ باحثين علميين	٧٣٥٠	-١٩٩١ ١٩٩٨
دول عربية واجنبية	١٠٠٪	٢٠٠٠٠٠٠	-١٩٩٠ ١٩٩٩
الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، الدنمارك ، النرويج ، تركيا، نيوزلندا، فنلندا	٣٣٪	+١٧٢٢٠٠	٢٠٠٠

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على (كرم، ١٩٨٢: ١٠٤ - ١٠٦) و(تقرير منظمة العمل العربية عام ٢٠٠٧) و(التقرير الوطني الثاني حالة السكان، ٢٠١٢: ١٠٣ - ١٠٧). وفي الجدول التالي (٢) توضيح لدراسة اعدت حديثاً من قبل وزارة الهجرة والمهجرين العراقية لعينة من الكفاءات العراقية العائدة والمسجلة لدى وزارة الهجرة والمهجرين البالغ عددها (١٢٨٤) من اصل (٣٩٣٣)، حول أسباب هجرة الكفاءات قبل عام ٢٠٠٣ وكالاتي: الجدول (٢) أسباب هجرة الكفاءات قبل عام ٢٠٠٣

اسباب هجرة الكفاءات قبل عام ٢٠٠٣	العدد	النسبة المئوية
مضايقات سياسية	١٢٢٢	٣١.١٪
نقص مصدر الرزق	٥٥	١.٤٪
تسفير قسري	٧	٠.٢٪
المجموع (عينة البحث)	١٢٨٤	٣٢.٧٪

المصدر: وزارة الهجرة والمهجرين - مركز البيان للدراسات والتخطيط (زاير، ٢٠١٨: ١٧)

وأظهرت النتائج ان السبب الأول في هجرة الكفاءات العراقية، هو المضايقات السياسية وهو تأكيد لتفوق العامل السياسي كعامل طرد يفوق باثاره العوامل الاخرى في هجرة الكثير من الكفاءات العراقية قبل عام ٢٠٠٣. ثم يأتي بعده العامل الاقتصادي والمتمثل بقلة الدخل حيث المردود الاقتصادي القليل، ثم التهجير القسري الممنهج من قبل السلطة الحاكمة (زاير، ٢٠١٨: ١٧). ويمكن القول ان هجرة الكفاءات العلمية كان سببها سوء الادارة في العراق خلال تلك الحقبة الزمنية، مما تسبب في فقدان جزء مهم من مقومات التنمية، وبذلك فُتح باباً من ابواب التباطؤ التنموي، حيث غادر العديد من العراقيين بمختلف الشرائح نحو مناطق امان قريبة وبعيدة بطرق شرعية وغير شرعية، وضمت هذه الموجات من الهجرة من هم في سن العمل واخرين من حملة العلم والمعرفة ذوي الخط التنموي الحديث للبلاد. وبعد عام ٢٠٠٣ واثرت تصاعد العنف في عامي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦، غادر مئات الالاف من العراقيين خارج البلاد مما الحق ضرراً بشكل خاص في المؤسسات الحكومية، بسبب فقدان العديد من موظفي الخدمة المدنية الاكثر تعليماً وكفاءة، حيث استخدموا مهاراتهم للعثور على عمل خارج العراق. وتشير التقديرات الصادرة عن مفوضية الامم المتحدة لشؤون اللاجئين انه بحلول حزيران عام ٢٠٠٧، خسر العراق نحو (٤٠٪) من فئته المهنية وتفاقت هذه الخسارة في المواهب (Savage, 2013: 174). ويمكن القول ان هجرة هؤلاء الاشخاص كان سببه تردي الواقع العراقي في حينه. ولكن بعد تغيير النظام ربما شعر البعض منهم بان يطرأ بعض التحسن على الواقع العراقي، فكان من المفترض ان يقابله استجابة حقيقية لعودة الكفاءات او تحجيمها، ولكن لم يحصل ذلك مما يدل على ضعف سياسة التوجه الوطني تجاه هذه الكفاءات والانانية السياسية، فكان التقريط بهكذا حجم من الكفاءات خسارة عراقية في ميادين التنمية العلمية والطبية ومجالات اخرى. وفي دراسة اخرى اعدت من قبل وزارة الهجرة والمهجرين العراقية استناداً إلى بيانات حقيقية للكفاءات العراقية العائدة والمسجلة لدى وزارة الهجرة والمهجرين البالغ عددها (٣٩٣٣) كفاءة حول اسباب هجرة الكفاءات بعد عام ٢٠٠٣، تشير النتائج إلى أن العنف الطائفي الذي جاء نتيجة الفراغ الأمني بعد ٩ نيسان عام ٢٠٠٣ كان السبب الأكبر

في هجرة الكفاءات العراقية، ثم التهديد العرقي وسوء الوضع الامني بشكل عام، فضلا عن العمليات العسكرية التي قامت بها قوات الاحتلال الامريكي داخل المدن، واخيرا التهديد الشخصي الذي يمثل في الغالب ضعف الانتماء الوطني كونه تابع لاجندات خارج البلد وربما سياسة تفرغ الوطن من علمائه، او انه يمثل عادات قبلية سيئة. والجدول التالي يوضح ذلك.

الجدول (٣) اسباب هجرة الكفاءات بعد عام ٢٠٠٣

اسباب هجرة الكفاءات بعد عام ٢٠٠٣	العدد	النسبة المئوية
عنف طائفي	١٦٤٤	٤١.٨%
تهديد عرقي	٣٦٩	٩.٤%
سوء الوضع الامني	٣٦١	٩.٢%
اعمال عسكرية	١٨٥	٤.٧%
تهديد شخصي	٩٠	٢.٢%
المجموع	٢٦٤٩	٦٧.٣%

المصدر: وزارة الهجرة والمهجرين - مركز البيان للدراسات والتخطيط (زاير، ٢٠١٨: ١٧)

ونلاحظ من الجدول رقم (٣) ان العنف الطائفي يأتي في المرتبة الاولى ليمثل النسبة الاكبر من بين اسباب هجرة الكفاءات والتي تكاد تصل الى (٤٢%)، ثم يليها التهديد العرقي وسوء الاوضاع الامنية بنسب متقاربة تصل الى (٩.٤%) و(٩.٢%) على التوالي. ثم تأتي الاعمال العسكرية في المرتبة الثالثة بنسبة (٤.٧%)، وأخيرا تأتي التهديدات الشخصية في المرتبة الرابعة بنسبة تصل الى (٢.٢%). وفي نتائج لدراسة حديثة اعدت من احد الباحثين باستخدام الاستبانة لمعرفة اسباب الهجرة ولعدة فقرات منها: ان (٧٥%) اتفقوا على ان القيود الفعلية والامنية التي انتجها الاحتلال الأمريكي ساعدت على الهجرة. وان (٧٠%) اتفقوا على ان الرغبة في الحصول على مكانة علمية ومادية أفضل ساهمت في الهجرة. وان (٦٠%) اتفقوا على فقرة ان الهجرة الخارجية تؤدي الى نقص في العناصر المنتجة في المجتمع وانخفاض مستوى الانتاج بالنسبة لسكان البلد. وان (٤٥%) اتفقوا على فقرتي التشدد الديني والتطرف الذي ظهر بعد الاحتلال، وفقرة تأثير حوالات المهاجرين في تغيير محل إقامة الأسرة (محمد، ٢٠٢٢: ٦٢٤). ويرى الباحثين ان الكفاءات العراقية التي تمثل الشريحة التنموية في المجتمع، غادرت عبر قنوات متعددة اتاحتها ظروف أنية في حينها، وهي ردود افعال للتخلص من تعسف الحياة في جوانبها السياسية والاقتصادية، وكل ذلك ينبثق وفق الحالة السيكولوجية للمهاجر والتي تم بعدها اتخاذ قرار الهجرة. لذلك فان اسباب هجرة الكفاءات تختلف وفق التطلعات التي تراها تلك الكفاءات مناسبة او ضرورية لاكمال تنفيذ طموحها، او للبحث عن مساحة اوسع لحرية البحث أو الراي.

### البحث الثالث: التنمية البشرية

١. مفهوم التنمية البشرية واهميتها: التنمية لغة: تنمى (مفرد): مصدر نمى. تحويل الموارد الطبيعية غير المستثمرة الى موارد منتجة مثل استصلاح الاراضي الصحراوية او البور أو انشاء صناعات جديدة (عمر، ٢٠٠٨: ٢٢٩٠). والتنمية كلمة رئيسية تطلق مع مجموعة من الاطارات، لذلك تم تعريفها بعدة صيغ، والبعض يقترح اعادة صياغة تعريف التنمية باستمرار لجعلها مناسبة كمفتاح لفهم مجريات الشؤون العالمية (Birou & other, 2016: 21). وان دراسة التنمية كفرع مهم من فروع علم الاقتصاد حديثة نسبياً، اذ ظهرت في منتصف القرن العشرين مع تنامي حركات الاستقلال الوطني لعدد من الدول النامية لاسيما في اسيا وافريقيا. وتركز الاقتصاديات التقليدية اساساً على توفير الكفاءة وتخصيص الموارد الانتاجية النادرة بشكل امثل للوصول باقل مستوى للتكاليف مع تعظيم وزيادة نمو هذه الموارد عبر الزمن (تودارو، ٢٠٠٦: ٣٨-٣٩). وقد حظي مفهوم التنمية البشرية باهتمام دولي مميز في مجال الفكر التنموي، من خلال تقارير برنامج الامم المتحدة الانمائي ابتداءً من تقريره الاول في عام ١٩٩٠، ثم تقاريره الدورية التي اغنت وطورت مفهوم التنمية البشرية الذي يقوم على أساس خدمة الإنسان. وحسب التقرير الاول للتنمية البشرية، فهناك ثلاثة قضايا مهمة تدخل في تفسير التنمية البشرية وهي: (١) أن يعيش الناس حياة طويلة وصحية، و(٢) أن يتعلموا، و(٣) أن يتمتعوا بمستوى معيشي لائق (HDR, 1990:10). ويتحقق مفهوم التنمية البشرية، بالتوازن بين جانبيين؛ الاول هو تكوين القدرات البشرية (تحسين مستوى المعرفة والصحة والمهارات)، والثاني هو انتفاع الناس من اكتسابهم لهذه القدرات واستخدامها للاغراض الانتاجية والاجتماعية والسياسية والثقافية (علام وعبد العال، ٢٠١٢: ٦٣). وتتجلى اهمية التنمية البشرية

في النهج الجديد للفكر الإنمائي الذي يتعلق بتوسيع رفاهية الحياة البشرية والنهوض بها، وليس مجرد ثراء الاقتصاد الذي يعيش فيه البشر، ويتوضح ذلك في ان :

١- التنمية البشرية؛ تركز على تحسين حياة الناس بدلاً من افتراض تحقيق الرفاهية المصاحبة للنمو الاقتصادي، حيث يُنظر إلى نمو الدخل على أنه وسيلة للتنمية وليس غاية في حد ذاته.

٢- التنمية البشرية؛ تعني منح الناس المزيد من الحرية لتطوير قدراتهم ومنحهم فرصة لاستخدامها ليعيشوا حياة منتجة وإبداعية يقدرونها.

٣- التنمية البشرية؛ تتعلق أساساً بمزيد من الخيارات والفرص، وليس الإصرار على الاستفادة من هذه الفرص، فلا أحد يستطيع أن يضمن السعادة البشرية، وان الخيارات التي يتخذها الناس هي مهمم الخاص (HDRO, 2022: p1).

٢. واقع التنمية البشرية في العراق: على الرغم من تزايد الاهتمام العالمي بالتنمية البشرية، الا انها في العراق لاتحظى بأهمية قصوى، مما يدل على قصور العراق في إدراك أهمية التنمية البشرية وتأثيراتها على الحياة بشكل عام، كما ان الانسان لم يكن هدف التنمية ووسيلتها، مما جعل العراق ينال مراتب متقدمة في أغلب المؤشرات السلبية، ومراتب متأخرة في أغلب المؤشرات الإيجابية دولياً (الجبوري، ٢٠١٩: ١). وفي تقرير الهجرة في العالم لعام ٢٠١٨، جاء العراق ضمن البلدان ذات مستويات التنمية البشرية المتوسطة، حيث جاء في المرتبة (١٢١) في مؤشر التنمية البشرية عام ٢٠١٧ (تقرير الهجرة في العالم لعام ٢٠١٨: ١٨١). وظل ترتيب العراق في عام ٢٠٢٠ ضمن مستوى التنمية البشرية المتوسطة، وهو موقع متأخر مقارنة بدول العالم والدول العربية حيث حصل على المركز (١٢٣) عالمياً والمركز (١٥) عربياً، وتشير بيانات العراق أن متوسط قيمة مؤشر التنمية البشرية خلال المدة من عام ١٩٨٠ إلى عام ٢٠٢٠ هي (٠.٦٢) نقطة بحد ادنى (٠.٥) في عام ١٩٨٠، وبحد أقصى (٠.٦٨٩) نقطة في ٢٠١٨، وأحدث قيمة له في مؤشر ٢٠٢٠ هي (٠.٦٧٤) نقطة، وهي منخفضة بالمقارنة مع المتوسط العالمي في عام ٢٠٢٠ وهو (٠.٧٢٤) نقطة على أساس (١٨٥) دولة (خريسان، ٢٠٢١: ١٢). ويمكن ايجاز الابعاد الأساسية للتنمية البشرية في العراق خلال المدة الزمنية في كل مؤشر:

١-٢. البعد التربوي في العراق: يشير الجدول (٤) الى زيادة اعداد الملتحقين في المؤسسات التعليمية الاساسية والثانوية لمدة عشر سنوات الدراسية من ٢٠١٠-٢٠١١ الى ٢٠١٩-٢٠٢٠، وبنسبة زيادة (٤٩%) لرياض الاطفال، و (٣٦%) للمدارس الابتدائية، و(٦٧%) للمرحلة الثانوية. وكذلك زيادة في اعداد المعلمين والمدرسين. الجدول (٤) اعداد رياض الاطفال والمدارس الابتدائية والثانوية للمدة من ٢٠١٠-

٢٠٢٠

عدد المعلمين/المدرسين	نسبة التغير	المجموع	العدد	السنة	المؤسسات التعليمية
٥٤٧٥ معلمة	٠.٤٩	١٤١١٥٨ طفل	٦٤٨	٢٠١١-٢٠١٠	رياض الاطفال
٨٤٦٥ معلمة		٢٠٩٩٣٥ طفل	١٢٤٤	٢٠٢٠-٢٠١٩	
٢٦٣٤١٢ معلم	٠.٣٦	٤٨٦٤٠٩٦ تلميذ	١٤٠٤٨	٢٠١١-٢٠١٠	المدارس الابتدائية
٢٩١٩٠٤ معلم		٦٦٣٧١٢٧ تلميذ	١٧٩٤٥	٢٠٢٠-٢٠١٩	
١٣٦٤٤٦ مدرس	٠.٦٧	١٩٥٣٧٦٦ طالب	٥٤٧٢	٢٠١١-٢٠١٠	المرحلة الثانوية
١٧٣٨٠٥ مدرس		٣٢٥٨٧١٨ طالب	٨٦١٢	٢٠٢٠-٢٠١٩	

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على المجموعة الاحصائية السنوية للجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط العراقية. (الارقام في الجداول والاحصاءات لاتشمل اقليم كردستان) كما يشير الجدول (٥) ايضا الى زيادة اعداد الطلبة المقبولين والموجودين في التعليم الجامعي الاولي في الجامعات كافة والكليات الاهلية وعدد اعضاء الهيئة التدريسية لمدة عشر سنوات الدراسية من ٢٠١٠-٢٠١١ الى ٢٠١٩-٢٠٢٠، وبنسبة زيادة قدرها (٧٨%) للطلبة. الجدول (٥) عدد الطلبة المقبولين والموجودين في التعليم الجامعي الاولي في الجامعات كافة والكليات الاهلية وعدد اعضاء الهيئة التدريسية

السنة	عدد المقبولين	الطلبة	عدد الموجودين	الطلبة	نسبة التغير	عدد الهيئة التدريسية
-------	---------------	--------	---------------	--------	-------------	----------------------



٢١١٢١	٠.٧٨	٤٧٦٤٠٣	١٥٨٠٣٧	-٢٠١٠ ٢٠١١
٥٠٧٩١		٨٤٦١٣٢	٢٤٧٥٥٥	-٢٠١٩ ٢٠٢٠

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على المجموعة الاحصائية السنوية للجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط العراقية. (الارقام في الجداول والاحصاءات لاتشمل اقليم كردستان) وقد بلغ عدد الطلبة المتخرجين من الجامعات والكليات الاهلية العراقية للسنة الدراسية ٢٠١٩/٢٠١٨ (١٤٨٣٧٦)، وهو اعلى مقارنة بالسنة الدراسية ٢٠١١/٢٠١٠ اذ بلغ (٩٣٣٥٧). كما قدر عدد الطلبة الموجودين في الدراسات العليا في الجامعات العراقية للسنة الدراسية ٢٠١٩ - ٢٠١٨ ب (٣٩١٤١) تتوزع بين (٢١٦١) دبلوم عال، ٢٤٥٠٧ ماجستير، ١٢٤٧٣ دكتوراه، وفي السنة ٢٠١٩ - ٢٠٢٠ ب (٤٦٢٣٢) تتوزع بين (٢٤٤٥) دبلوم عال، ٢٩٧٥٨ ماجستير، ١٤٠٢٩ دكتوراه) اي بنسبة زيادة قدرها اكثر من (١٨٪) عن السنة السابقة. كما ارتفعت نسبة المعلمين الحاصلين على الحد الأدنى من المؤهلات المطلوبة حسب المستوى التعليمي (٣٥٪) في عام ٢٠٢٠، بعد ان كانت (٢٤٪) في عام ٢٠١٩ (الجهاز المركزي للإحصاء، ٢٠٢١). ويمكن القول ان العراق يعاني من تدهور نظم التعليم. والتعليم من الركائز الأساسية في رفع القدرات البشرية، باعتبار العلاقة الوثيقة بين التعليم والتنمية، وأي انخفاض في مستويات التعليم يكون سبب في ارتفاع معدلات الأمية وانخفاض مستويات التحصيل العلمي، وهذين الاخيرين يمثلان السبب الرئيسي لانخفاض الدخل، لذا فهما مظهران من مظاهر الفقر والتخلف. كما ان نظام التعليم في العراق مجاني ويشمل كل افراد المجتمع دون استثناء، ولجميع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي، الا ان مخرجاته لاتلبي الطموح التنموي.

٢-٢. البعد الصحي في العراق: شهد مؤشر العمر المتوقع عند الولادة والذي يمثل الواقع الصحي، ارتفاعاً تدريجياً طفيفاً، نتج عن الوعي الصحي لدى بعض شرائح المجتمع العراقي. فبعد أن وصل إلى أدنى مستوى له في عام ٢٠٠٧ وهو (٦٨.١٣)، تحسن المسار ليتجاوز حاجز (٦٩ سنة) في الأعوام ٢٠١٢ - ٢٠١٥ ليحقق ارتفاعاً بلغ (٧٠ سنة) في سنوات ٢٠١٦ - ٢٠١٩ مما يشير الى تحسن طفيف في هذا المؤشر (Dhannoon, 2021: 4482). وضمن هدف ضمان تمتع الجميع بأنماط عيش صحية ورفاهية في جميع الأعمار، فان معدل كثافة الاخصائين الصحيين وتوزيعهم في عام ٢٠١٩ كان: الاطباء الكلي (٩.٣)، أطباء الاسنان (٣.٧) الصيادلة (٤.٠)، الملاكات التمريضية (٢٢.٥)، ذوي المهن الصحية (٢٣.٤)، الملاكات المختبرية (٣.١)، المساعدون الصحيون (٣.١) لكل ١٠٠٠٠ من السكان. وفي عام ٢٠٢٠ كان: الأطباء الكلي (٩.٧)، أطباء الاسنان (٣.٥)، الصيادلة (٤.١)، الملاكات التمريضية (٢٢.٥)، ذوي المهن الصحية (٢٢.٤)، الملاكات المختبرية (٣.٤)، المساعدون الصحيون (٠.٨) لكل ١٠٠٠٠ من السكان (الجهاز المركزي للإحصاء، ٢٠٢١). ويشير الجدول (٦) الى زيادة عدد المستشفيات والمؤسسات الصحية الاخرى والعيادات الطبية الشعبية خلال المدة ٢٠١٩ - ٢٠٢٠، وكما موضح.

الجدول (٦) عدد المستشفيات والمؤسسات الصحية الاخرى والعيادات الطبية الشعبية

السنة	المستشفيات	المؤسسات الصحية الاخرى	العيادات الطبية الشعبية
٢٠١٩	٤٢٩	٣٩٢١	٣٤٤
٢٠٢٠	٤٥٠	٤٣٣٠	٣٤١

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على المجموعة الاحصائية السنوية للجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط العراقية، حسب بيانات وزارة الصحة.

٢-٣. البعد الداخلي في العراق: بلغ إجمالي الدخل القومي (٤٦.٩٢٣.٣١٥.٧) مليون دينار في العام ٢٠٠٤، وبلغ متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي (١.٧٢٨.٩٦٢) دينار خلال نفس العام، ثم استمر الدخل القومي في الارتفاع طوال نفس المدة ليبلغ (٢٣٢.٥٠٨.٢٢٣.٥) مليون دينار عام ٢٠١٩، بمعدل نمو سنوي موجب بلغ (١١.٢٪) ورافق هذه الزيادة ارتفاع متوسط الدخل القومي للفرد ليبلغ (٥.٩٤٢.٢٦٣) دينار في نفس العام. وبلغ معدل النمو السنوي الإيجابي نفس العام (٨.٥٧٪). وبلغ معدل البطالة (٢٦.٨٪) في عام ٢٠٠٤، حيث يعد أعلى مستوى للبطالة خلال المدة ٢٠٠٤ - ٢٠١٩، ويعود ذلك إلى الأحداث التي شهدتها العراق بعد عام ٢٠٠٣ وفصل أعداد كبيرة من الأفراد في المؤسسات العسكرية والمدنية. وفي عام ٢٠٠٥ بدأت معدلات البطالة لتقلب منخفض، رغم بقاءه أعلى من المعدل الطبيعي للبطالة وهو (٥.٥٪). ويمثل النسبة المئوية التي تظل فيها معدلات الأجور مستقرة، لتصل إلى (١٥.٢٪) عام ٢٠١٩، نتيجة إطلاق الحكومة العراقية

لوظائف جديدة بعد رفع العقوبات الاقتصادية عن العراق (Dhannoon, 2021: 4484-4486) وبلغ معدل النمو السنوي للناتج المحلي الاجمالي الحقيقي للفرد الواحد (١.٨٪) في ٢٠١٩. وضمن هدف القضاء على الفقر بجميع أشكاله في كل مكان، فان نسبة مجموع الإنفاق الحكومي على الخدمات الأساسية كانت؛ التعليم (٢٧.٨٪)، والصحة (١٠.٢٪)، والحماية الاجتماعية (٣.٢٪) في عام ٢٠١٨. وفي عام ٢٠١٩ كانت؛ التعليم (٢٣.٣٪)، والصحة (١٠.٢٪)، والحماية الاجتماعية (٣.٥٪) (الجهاز المركزي للإحصاء، ٢٠٢١)، وربما تراجع الإنفاق على التعليم سببه انخفاض اسعار النفط العالمي.

لذا يتضح مما سبق ان العراق حافظ على مرتبته ضمن نطاق المستوى المتوسط للتصنيف العالمي لمؤشر التنمية البشرية، وربما يعود ذلك الى التحسن البسيط في أبعاد المؤشرات الثلاثة (الصحة والتعليم والدخل) بالتزامن مع النمو السكاني.

### المبحث الثالث: أثر هجرة الكفاءات العلمية على التنمية البشرية

١. دور الكفاءات العلمية في التنمية البشرية: لعل من اولويات خطط التنمية في كل المجتمعات هو الاستثمار في العنصر البشري، اذ ان القاعدة الاقتصادية المتطورة ترتكز على رأسمال بشري وفكري ومعرفي، وهذه الركائز الاستثمارية تبدأ من التنشئة في مراحل الطفولة والتربية الاجتماعية والتعليم وبيئة وانظمة العمل والجوانب الاخرى كالتدريب واكتساب المهارات وكل مايتعلق بتنمية العنصر البشري (الكناني، ٢٠١٣: ٢٥٩). وقد جاء في تقرير الامم المتحدة أن وجود الرجال المدربين والمتقنين اصبح يعد عاملاً حيوياً في التنمية، ويدل على ذلك ما بينه خبراء الاقتصاد التربوي؛ ان إنتاجية العامل الامي ترتفع الى (٣٠٪) بعد عام واحد من الدراسة الابتدائية، وتصل الى (٣٢٠٪) بعد دراسة ثلاثة عشر عام، ثم تصل الى (٦٠٠٪) بعد الدراسة الثانوية والجامعية. في حين أظهرت دراسة قام بها الأستاذ "روبرت سولو" حول اقتصاديات الإنتاج غير الزراعي في الولايات المتحدة، بان إنتاجية الفرد في الساعة تضاعفت في الفترة ما بين عامي ١٩٠٩ و ١٩٤٩، وان نسبة (١٢.٥٪) من هذه الزيادة فقط تعزى الى الزيادة في راس المال الحقيقي المستخدم، بينما بقية الزيادة تعزى الى التقدم العلمي والتكنولوجي. كما ان تاريخ الدول يشير الى أهمية العنصر البشري الكفوء حيث يتجسد بشكل اكثر وضوحاً بدوره في عملية إعادة بناء ألمانيا واليابان اللتان خسرتا نحو نصف رأس المال المادي أثناء الحرب العالمية الثانية، ولكن امتلاكهما لرأس المال البشري المتعلم والمؤهل مكنتهما من النهوض وإعادة بناء المجتمع (التميمي، ٢٠٠٨: ١٣٦). ويرى الباحثين ان للكفاءات العلمية المؤهلة ثقافياً وتقنياً دور مهم وحاسم في عملية التنمية البشرية كمورد بشري قادر على تحقيق مردودات تلائم متطلبات التنمية البشرية للوصول الى تحقيق اهدافها لخدمة الانسان واحداث التنمية الشاملة. فهي الرأسمال الاول في العملية التنموية، لدورها الفعال في تقدم الامم، ووجودها في المجتمع يشكل دعماً وطنياً لمختلف اوجه التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. كما ان رفاهية الدول المتقدمة صناعياً وحضارياً، تقدر بما تمتلكه من كثرة العلماء والمهندسين واصحاب الكفاءات العلمية والطاقات الممتازة.

### ٢. تأثير هجرة الكفاءات العلمية في التنمية البشرية في العراق :

يتضح تأثير هجرة الكفاءات العلمية في التنمية البشرية، من خلال البنية التحتية الأساسية ومنها التعليم والصحة. وفي معظم الاقتصادات هناك ارتباط كبير بين توافر خدمات البنية التحتية ومستويات الدخل (التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية، ٢٠١٤: ٥٥). وقد أفضت الهجرة المتصاعدة إلى خسارة مهمة، إذ قدرت بعض المنظمات أن العراق خسر حوالي (٤٠٪) من طبقة الوسطى والكثير منهم لا يفكر في العودة إلى الوطن، وهي ظاهرة تنذر بمخاطر جمة وأثار سلبية على التنمية نتيجة خسارة البلاد للكثير من علمائه ومفكره وكفاءاته (التقرير الوطني الثاني حول حالة السكان، ٢٠١٢: ١٠٧). وتزداد أهمية ظاهرة هجرة الكفاءات من خلال تزايد حجمها خاصة العناصر العلمية المتخصصة، وفي العراق كان من نتاج اعمال العنف في سنة ٢٠٠٦، اغتيال (٣٨٧) شخصية علمية واكاديمية (الرشيد والجبوري، ٢٠٠٩: ٥٣)، مما أفرز آثار سلبية على واقع التنمية البشرية من خلال تاثيرها في مؤشرات التنمية البشرية في العراق وهي التعليم والصحة.

١-٢. التعليم: كان النظام الجامعي في العراق مفخرة علمية في العالم العربي، فكان لكل طالب مدرسة ثانوية مقعداً جامعياً، الا انه بعد عام ٢٠٠٣ هاجر نحو (٤٠٪) من الاساتذة من العراق، وبقيت جامعاتها ومؤسساتها البحثية منعزلة عن المجتمع الدولي الاكاديمي، مما ادى الى تدني النظام الجامعي وهبوط مستويات التدريس، اذ ان ثلث اعضاء الهيئة التدريسية فقط يحملون شهادة الدكتوراه (علاوي، ٢٠٠٩: ٥٦٤). ففي الاعوام الثلاث الاولى التي اعقبت غزو العراق ارتفعت هجرة الكفاءات على اختلاف تخصصاتهم ودرجاتهم العلمية من العراق، بسبب اعمال العنف التي طالت بشكل ملحوظ الكوادر العلمية العراقية، الامر الذي دفع وزارة التعليم العالي في العراق ان تغلق اكثر من (١٩٠) قسماً علمياً لقلّة توافر الدرجات العلمية كالاساتذ والاساتذ المساعد (البدراي، ٢٠٠٩: ١٤٩).

وحسب نتائج دراسة أعدتها لجنة خاصة في منظمة الطاقة الذرية العراقية عام ١٩٨٩، قدرت كلفة دراسة الحائز على شهادة الدكتوراه في العلوم والتكنولوجيا بنحو (١٤٠) الف دولار، وهذا الرقم يجسد مدى خسارة قطاع التعليم في العراق. كما أكدت نتائج دراسة أخرى لنفس اللجنة أجريت عام ١٩٩٨، ان كلفة استقطاب (١٧٥٠٠) حامل شهادة ماجستير و (٧٥٠٠) حامل شهادة دكتوراه تبلغ نحو (١١٢٥) مليون دولار، في حين تحقق عودتهم للعراق مكسب مالي يقدر بـ (٣٤٥٢.٤٥) مليون دولار، بالمقابل يمثل هذا العائد خسارة مالية في حالة عدم عودة الكفاءات، إضافة الى خسارة العائد الاجتماعي المتمثل بإعداد القوى البشرية القادرة على العطاء والبناء الاجتماعي، فضلا عن الفاقد من الاستثمار في التعليم، وخسارة فرص النهوض التنموية المتمثلة باضعاف القدرة الذاتية للمجتمع على القيادة والإدارة، مما يعمق التبعية العلمية والتقنية والاقتصادية التي تؤدي الى الاعتماد على استيراد التقنية الجاهزة من الخارج (التميمي، ٢٠٠٨: ٩-١٢).

ان هجرة الكفاءات تشكل أحد أهم التحديات التي تواجه القائمين على التعليم، فبالإضافة الى ظروف الحرب والحصار الاقتصادي أسهمت هجرة الكفاءات بإهمال وترجع التعليم الوطني في العراق، وهذا الواقع قاد إلى خروج العراق من نطاق تقييم مؤشر جودة التعليم العالمي الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس للعام ٢٠١٦، وذلك بسبب الافتقار لمعايير جودة التعليم إذ أظهر التقرير أن العراق لا تتوفر فيه أبسط معايير الجودة في التعليم، ما يجعله غير مؤهل للدخول ضمن إطار التقييم الذي اشتمل على (١٤٠) دولة في عموم العالم (كشكول، ٢٠١٧: ١). ويمكن القول ان قطاع التعليم هو اساس استراتيجي تعتمد الدول المتقدمة والنامية في برامجها التطويرية والتنموية في الوقت الحاضر. وان اختلال التوازن بين نسبة الاساتذة المؤهلين قياسا الى نسبة الطلبة الموجودين بالاتجاه السلبي ادى الى انخفاض جودة التعليم، مما يؤدي إلى تخرج دفعات ذات كفاءة محدودة يصعب توظيفها كمخرجات تعليم كفوءة في بناء وتطوير قاعدة تقنية وطنية. ولذا فان تأثير هجرة الكفاءات العالية المستوى الى خارج العراق ترك فجوة تنموية باعتبار ان التنمية والتعليم يكمل بعضهما الاخر، وان تراجع التعليم في مستوياته المختلفة هو شرح في العملية التنموية في العراق، كونها تفقد اسس التفكير والابداع نحو البناء والتقدم.

**٢-٢. الصحة:** تأثر القطاع الصحي تأثراً شديداً جراء هجرة العقول، بسبب استهداف فريق العاملين في المجال الصحي سواء الاطباء والجراحون واطباء الاسنان والصيدال والبيطريون وحتى الممرضات ايضاً، فكانوا هدفاً بين عامي ٢٠٠٣ ونهاية عام ٢٠٠٦، وقدر عدد الشهداء (١٦٠) طبيب وجرح اكثر من (٤٠٠) طبيب. وحسب التقديرات فان (٥٠٪) من الشهداء كانوا اطباء اخصائيين، و(١٤٪) منهم جراحين. ولاتوجد احصائية دقيقة عن عدد الاطباء الذين غادروا العراق، ولكن تأثير الهجرة يتضح من خلال امرين؛ اولهما فقدان البلد ثروة من الخبرة، وثانيهما انهيار النظام الصحي وتدهور الاحوال الصحية (الجسدية والعقلية) للعراقيين بشكل كبير خلال مدة الخمس سنوات التي اعقبت الغزو الامريكي (Bocco & others, 2012: 384). وفي عام ٢٠٠٦ بلغ عدد الاطباء الاختصاصيين والعموميين في العراق (١٦٥١٨) طبيب، يقابله نحو (٢٨.٨١) مليون نسمة عدد سكان العراق في نفس العام، اي ان هناك طبيب واحد لكل (١٧٤٤) مواطن. فاذا حصل هناك انتقال للاطباء بنسبة (٥٪) سنوياً الى دول اخرى، سيتضح مدى عمق المشكلة وتأثيراتها على صحة المواطنين، وفي قدراتهم على العمل والانتاج (الجابري، ١٠١٧: ٣٩). ويقدر عدد الكفاءات الطبية المهاجرة للمدة من ٢٠٠٣-٢٠١٨ اكثر من (٢٠) الف طبيب وطبيبة بسبب تعرضهم للمضايقات، وقدر عدد ضحايا الارهاب منهم في بغداد والموصل وصلاح الدين للمدة ٢٠٠٩-٢٠١٧ بـ (٤٦١١) طبيب، منهم (٣٠٥١) خطف واعتداء، و(١٣٠٣) فصل عشائري، و(٥٢٧) شهداء. وتم تسجيل اكثر من (٣٠٠) حالة اعتداء على الاطباء عام ٢٠١٨ في ظل عدم تفعيل قانون حماية الاطباء رقم ٢٦ لسنة ٢٠١٣ (آرزروني، ٢٠٢١: ٦٣). فضلا عن ان نقص الكفاءات ادى بالنتيجة الى تدني مستوى الخدمات الطبية المقدمة في المستشفيات العراقية، نتيجة لارتفاع الجهد المبذول من القلة المتبقية من الاطباء الجدد او القدامى (البدراي، ٢٠٠٩: ١٤٩). وهناك إحصائيات تشير إلى ارتفاع حالات نسبة الوفيات بسبب أخطاء طبية تحصل في غرف العمليات، وذلك نتيجة هروب الكفاءات والاعتماد على قليلي الخبرة وتكليفهم باعمال أرفع من مستوياتهم العلمية (الجابري، ٢٠١٧: ١٠). ويرى الباحثين ان القطاع الصحي بجميع مستوياته عالميا مكلف بمسؤولياته المتعلقة بحفظ حياة الناس، وان تعرض كوادره للعنف يعني ايقاف انتاجيته، ويحدث خلا في الكثافة الصحية اي عدم كفاية الاطباء او العاملين في القطاع الصحي لتغطية الطلب المتزايد على الرعاية الصحية من قبل المجتمع، وما يعقب ذلك من تعثر وتباطؤ في تقديم الخدمات الصحية التي لها تأثير على التنمية البشرية التي تتطلب اشخاص اصحاء جسمانيا وعقليا، ومن ثم فان هجرة الكفاءات الصحية العراقية أثرت سلبا على الواقع الصحي في العراق.

٧- الاستنتاجات: توصل الباحثين الى نتائج متباينة بخصوص تأثير هجرة الكفاءات العراقية في مؤشرات التنمية البشرية :

- ١- أن العراق خلال مدة البحث حافظ على مرتبته ضمن نطاق المستوى المتوسط للتصنيف العالمي لمؤشر التنمية البشرية، وربما يعود ذلك الى التحسن البسيط في أبعاد مؤشري التعليم والصحة بالتزامن مع النمو السكاني.
  - ٢- ان الكفاءات العراقية تمثل الشريحة المتعلمة والتنموية في المجتمع، وقد غادرت عبر قنوات متعددة اتاحتها ظروف آنية في حينها، وهي ردود افعال للتخلص من تعسف الحياة في جوانبها السياسية والاقتصادية، وكل ذلك ينبثق وفق الحالة السيكولوجية للمهاجر والتي تم بعدها اتخاذ قرار الهجرة.
  - ٣- في مجال التعليم خسر العراق العائد الاستثماري من التعليم، كما حصل اختلال في التوازن بين نسبة الاساتذة المؤهلين قياسا الى نسبة الطلبة بالاتجاه السلبي مما ادى الى انخفاض جودة التعليم، وبالتالي تخرج دفعات ذات كفاءة ضعيفة. بالإضافة الى ان تراجع التعليم في مستوياته المختلفة يخلق فجوة في العملية التنموية في العراق، كونها تفقد اسس التفكير والابداع نحو البناء والتقدم.
  - ٤- في مجال القطاع الصحي فان هجرة الكفاءات الصحية ادت الى تباطؤ وتعثر تقديم الخدمات الصحية والعلاجية بسبب عدم كفاية الاطباء او العاملين في القطاع الصحي لتغطية الطلب المتزايد على الرعاية الصحية من قبل المجتمع، وما اعقبه من تعثر وتباطؤ التنمية البشرية في العراق.
  - ٥- ان هجرة الكفاءات هي نتاج سلبيات ميدانية في الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي العراقي، والذي انتج بيئة غير آمنة وطاردة لذوي الشهادات العليا والكفاءات، ومن ثم ادى ذلك الى خلق سلوك انساني يسعى لتغيير نمط حياته نحو الافضل بما يمتلكه من خيارات وقدرات تمثل اهم متطلبات سوق العمل الدولية.
  - ٦- بناء على تحليل المعطيات المتاحة من البيانات والاحصائيات حول تأثير ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية العراقية، تبين ان هناك تأثير سلبي في مؤشرات التنمية البشرية في قطاعي التعليم والصحة وهو ما يتفق مع فرضية البحث.
- ### ٨- التوصيات:
- ١- يمكن للحكومة العراقية ان تتخذ اجراءات فعلية لرصد عدد الكفاءات العلمية العراقية المهاجرة لجمع البيانات الخاصة بهم وبيان اوضاعهم ومحل اقاماتهم.
  - ٢- تعزيز التواصل مع الكفاءات في دول المهجر لتعزيز ثقافة المواطنة من خلال عقد المؤتمرات واللقاءات في دول المهجر وتبني ذلك من قبل السفارات والممثلات العراقية.
  - ٣- التركيز على احتضان الكفاءات ذات التخصص الاكاديمي والصحي، كونها اهم ادوات التنمية البشرية من خلال توفير البيئة الآمنة للكفاءات وكافة مستلزمات التطوير العلمي والمعرفي والمهارات الانتاجية من ناحية التمويل والانفاق على البحث العلمي ومؤسساته لتحجيم هجرة الكفاءات قيد التكوين.
  - ٤- الاسراع في تشريع قانون الشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص يعدّ حالة ايجابية لتشجيع مشاريع الكفاءات المهاجرة في تحسين حالة التنمية البشرية في العراق.
- مصادر البحث: خَيْرُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.
- ١- آرزوني، سونيا (٢٠٢١)، (العراق في ضوء مؤشرات التنمية البشرية للمدة ٢٠١٤ - ٢٠١٨)، جامعة البصرة، مركز دراسات البصرة والخليج العربي (العراق)، مجلة دراسات اقتصادية المجلد ١٩ العدد ١/، ٢٠٢١.
  - ٢- الاتحاد البرلماني العربي، مذكرة الأمانة العامة حول جوهر الأدمغة العربية - (وضع سياسة واضحة لاستيعاب الكفاءات العربية والحد من هجرتها إلى الخارج)، مجلة البرلمان العربي، السنة: ٢٢ العدد: ٨٢، كانون الأول/ ٢٠٠١. <https://arabipu.org/index.php>
  - ٣- البدراني، عبد الناصر أحمد عبد السلام (٢٠٠٩)، (هجرة الكفاءات العربية الاسباب والنتائج -العراق نموذجا)، رسالة ماجستير مقدمة الى الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك، كلية الادارة والاقتصاد قسم الاقتصاد.
  - ٤- تحليل الوضع السكاني في العراق (٢٠١٢)، (التقرير الوطني الثاني حول حالة السكان في إطار توصيات المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والاهداف الانمائية للألفية)، بدعم من صندوق الامم المتحدة للسكان، حزيران ٢٠١٢.
  - ٥- تقرير التنمية البشرية والهشاشة وترتيب التأشيرات ٢٠١٨.
  - ٦- تقرير منظمة العمل العربية عام ٢٠٠٧.

٧- تودارو، ميشيل ب. (٢٠٠٦)، (التنمية الاقتصادية)، ترجمة: محمود حسن حسني ومحمود حامد محمود عبد الرزاق، طبع دار الميرخ للنشر، الرياض، السعودية.

٨- التميمي، حسناء ناصر ابراهيم (٢٠٠٨)، (استراتيجية تعزيز قدرات الكفاءات العلمية في العراق وسبل المحافظة عليها)، جامعة بغداد، مركز بحوث السوق وحماية المستهلك. متاح على الرابط: <https://iasj.net/iasj/pdf/53662d6cda9aca5c>

٩- الجابري، ستار جبار (٢٠١٧)، (هجرة الكفاءات العراقية الاسباب والمعالجات)، مجلة دراسات دولية - العدد ٦٨، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية - جامعة بغداد، العراق.

١٠- الجبوري، حامد عبد الحسين (٢٠١٩)، (تواضع التنمية البشرية في العراق)، على الموقع <http://fcds.com/economical/1295> في ٢٢/٩/٢٠١٩.

١١- الحمداني، سامي (٢٠١٤)، (الإدارة المحلية وتطبيقها والرقابة عليها)، المركز القومي للإصدارات القانونية، الطبعة الأولى، القاهرة.

١٢- خريسان، باسم علي (٢٠٢١)، (العراق في مؤشر التنمية البشرية ٢٠٢٠)، سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، العراق.

١٣- الرشيد، حسين والجبوري، سيف (٢٠٠٩)، (الكفاءات العلمية التي تم اغتيالها بعد الاحتلال الأمريكي للعراق)، مركز الأمانة للدراسات والتطوير.

١٤- زاير، حسن عبدالهادي (٢٠١٨)، (المنظور الاستراتيجي لاحتضان الكفاءات العائدة ومعالجة ظاهرة هجرة العقول)، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد.

١٥- سرحان، فتحي (٢٠١١)، (نزيف الأدمغة العربية المهاجرة وإدارة استثمارها بين الجنة المفقودة والموعودة - رؤية مستقبلية من منظور عالمي)، مكتبة الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة.

١٦- شلبي، احمد (١٩٩٥)، (موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٤)، ط ١٠، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، مصر.

١٧- الشلوقي، ليليا عثمان (٢٠١٩)، (تجارب الهجرة والمسارات الشخصية للكفاءات التونسية)، جمعية تونس الفتاة ومؤسسة كونراد أديناور، تونس.

١٨- علاوي، علي عبد الامير (٢٠٠٩)، (احتلال العراق)، ترجمة عطا عبد الوهاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.

١٩- عمر، احمد مختار (٢٠٠٨)، (معجم اللغة العربية المعاصرة)، ط ١، علا للكتب، القاهرة، مصر.

٢٠- الفاخري، سالم عبد الله سعيد (٢٠٠٨)، (دور التعليم العالي في التنمية البشرية في الجماهيرية)، بحث مقدم لمؤتمر دور العلوم الإنسانية في التنمية البشرية، كلية الآداب جامعة سبها خلال الفترة ١٢-١٤ نوفمبر ٢٠٠٨، ليبيا. موقع التنمية البشرية والنجاح <https://yesser.ab.ma/152553.htm>

٢١- فرجاني، نادر (١٩٨٥)، (هجرة الكفاءات والتنمية في الوطن العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

٢٢- كرم، انطونيوس (١٩٨٢)، (العرب امام تحديات التكنولوجيا)، سلسلة عالم المعرفة العدد ٥٩ نوفمبر ١٩٨٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

٢٣- كشكول، محسن عبود (٢٠١٧)، (هجرة الكفاءات وتراجع التعليم)، صحيفة الزمان ٣١ / يناير ٢٠١٧ <https://www.azzaman.com>

٢٤- الكناني، كامل كاظم بشير (٢٠١٣)، (ارجوحة التنمية في العراق بين ارث الماضي وتطلعات المستقبل)، دارالدكتور للعلوم الادارية والاقتصادية، الطبعة الأولى، بغداد، العراق.

٢٥- كورتي، باولا (٢٠١١)، (تاريخ الهجرات الدولية)، ترجمة عدنان علي، الطبعة الأولى، هيئة ابوظبي للثقافة والتراث «كلمة»، مكتبة مؤمن قريش.

٢٦- محمد، احمد عثمان (٢٠٢٢)، (الهجرة الاجبارية للعقول العراقية إلى الخارج: المشكلة والحلول)، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية مجلد ٦١ / العدد ١ / السنة ٢٠٢٢ (ص ٦٠٥-٦٢٩).

**Foreign references:**

- 29- Birou, Alain. Henry, Paul-Marc. And Schlegel, John P.(2016).(Towards a Re-Definition of Development: Essays and Discussion on the Nature of Development in an International Perspective),Elsevier.
- 30-Bocco, Riccardo. Bozarslan, Hamit. Sluglett, Peter. and Tejel, Jordi.(2012), (Writing the Modern History of Iraq: Historiographical and Political Challenges), Illustrated Edition,6/9/2012.
- 31- Dessilani, margherita (2016), (the brain drain problem: a study into the dynamics of brain drain in Europe), Erasmus university rotterdam, school of economics, department of economics.
- 32- Dhannoon,Alaa Hatem(2021), (Indicators of human development in Iraq for the period 2004-2019), Turkish Journal of Computer and Mathematics Education Vol.12 No.12 (2021), 4479-4487.
- 33-Dustmann, Christian. and Glitz, Albrecht (2011), (Handbook of the Economics of Education), Chapter 5 - Human Development Report 1990.
- 34-International Organization for Migration (IOM),N34 : (Glossary on Migration 2019).
- 35-kar, Avasar.(2012) (What is Everett Lee's Conceptual )Framework for Migration. Analysis. Article Shared At: <https://www.preservearticles.com/education/what-is-everett-lees-conceptual-framework-for-migration-analysis/16078>.
- 36- (Migration and Education), Volume 4, 2011, Pages 327-439.
- 37- Savage, D James (2013), (Reconstructing Iraq's Budgetary Institutions: Coalition State Building after Saddam), Cambridge University Press.
- 38- Shachar,Ayelet (2006),(The Race for Talent: Highly Skilled Migrants and Competitive Immigration Regimes). New York University Law Review, Vol. 81, April 2006, U Toronto, Legal Studies Research Paper No. 883739,  
Available at SSRN: <https://ssrn.com/abstract=883739>
- 39-United Nations Development Programme,(2022),(Human Development Reports, What is Human Development), at : <https://hdr.undp.org/en/content/what-human-development>.
- 40 - Webster Dictionary, at: <https://www.merriam-webster.com>.